المطلب الثاني

أهمية الوقف في إنشاء المستشفيات لعلاج المرضى

"تعد الرعاية الصحية للأفراد (بمختلف جوانبها) أحد الأركان الأساسية للتنمية البشرية، ولـــذلك لم تغفـــل الأوقـــاف هـــذا الجانـــب، بل أولته عناية فائقة وإن المتتبع لتاريخ الطب والمستشفيات في الإسلام يجد تلازماً شبه تام بين تطور الأوقاف واتساع نطاقها وانتشارها في جميع أنحاء العالم الإسلامي من جهة وبين تقدم الطب والتوسع في مجال الرعاية الصحية للأفراد من جهة أخرى بحيث يكاد الوقف أن يكون هو المصدر الأول بل والوحيد في كثير من الأحيان للإنفاق على المستشفيات العامة والمتخصصة وعلى المعاهد والمدارس الطبية.

ويذهب عدد من المفكرين إلى أن التقدم العلمي والازدهار الذي حدث في العلوم الطبية والعلـــوم المرتبطة بها كالصيدلة والكيمياء كان ثمرة من ثمرات نظام الوقف في الإسلام" [1] "ومما يوضح ذلك أن أول دار أسست لمداواة المرضى في الدولة الإسلامية بناها الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في دمشق سنة ٨٨هـــ وصل فيها أطباء و أجرى عليهم الأرزاق وخصص لكل مقعد خادماً يهتم بأمره، ولكل ضرير قائداً يسهر على رفقته" [2].

"لقد كان للوقف أهمية كبيرة في إنشاء المستشفيات والإنفاق عليها، حيث كانت على أنـــواع شـــتى منها المتنقل مع الجيوش في الغزوات ومنها الثابت و لم تخل بلدة صغيرة أو كبيرة يومئذ من مستشفى أو أكثر.

وأنـــشأ الوقف المراكز الإسعافية التي كانت بالقرب من الجوامع والأماكن العامة التي يزدحم بها الناس.

---

(١) انظـــر: الـــدور الاجتماعـــي للوقف د. عبد الملك أحمد السيد ص ٢٨٠ وما بعدها – وقائع الحلقة الدراسية لتثمير ممتلكات الأوقاف- نشر المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب – البنك الإسلامي للتنمية ، ١٤٠٤هـــ – جدة.

(٢) المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار للمقريزي – ٢/٤٠٥.

ومـــنها المستشفيات العامة التي تفتح أبوابها لكافة أفراد المجتمع لمعالجة كافة الأمراض، كما أن منها المتخصصة التي تعنى بمعالجة مرض معين كأمراض العيون أو الأمراض العقلية، وقد انتـــشرت المستـــشفيات في كـــثير من بلاد المسلمين ووقفت عليه الأراضي والبساتين والدور والحوانيت وغيرها لضمان استمراريتها" [1] .

"وقد بلغ من عناية المسلمين بالمستشفيـــــات، كي تقوم بـــأداء الخدمات للمرضى، بصورة متكاملة وتساهم في تطور صحـــة المجتمع، انه كانت توقـــف الأوقاف الكاملة لبنـــاء أحيـــــاء طبية متكاملة الخدمات والمرافق" [2] .

حقًا إن الوقف لـــه أهمية كبرى في خدمة المجتمعات الإنسانية؛ فعلى المستوى الطبي لم يكـــن الوقـــف يمول إنشاء المستشفيات فحسب بل كان يدعم هذه المستشفيات مما يرفع من مـــستواها في مجـــال الخدمات للمرضى، وذلك من خلال إنشاء كليات الطب والإنفاق عليها وإنشاء المستشفيات التعليمية التي تؤهل الكوادر الطبية الجديدة.

لقـــد كان من مستلزمات الاهتمام بالرعاية الصحية الاهتمام بالتعليم الطبي الذي يعد الركيـــزة الأساسية في التقدم الصحي ولذا امتد اهتمام الواقفين إلى هذا الجانب "حيث إن أمر إنـــشاء المستشفيات التعليمية وكليات الطب والإيقاف عليها وعلى الصيدليات لم يقتصر على الخلفـــاء والسلاطين بل شمل الأثرياء ورجال الطب أنفسهم الذين أسسوا مستشفيات موقوفة ودرسوا فيها طلبتهم.

كمـــا أن الاهتمام بالتعليم الطبي لم يقتصر على مصر من أمصار المسلمين فقط أو على عصر من العصور، بل شمل كل أمصار المسلمين ودولهم وفي كل عهودهم، ومن المهام العظيمة الـــتي كان الوقف يقدمها للمجتمعات الإنسانية إنشاء مراكز الحجر الصحي لمكافحة الأمراض المعدية.

---

(١) انظر: من روائع حضارتنا د. مصطفى السباعي ص ١٤٣ وما بعدها- بدون رقم وتاريخ طبع - المكتب الإسلامي- بيروت.

(٢) الدور الاجتماعي للوقف د. عبد الملك أحمد السيد ص ٢٨٤ .

هـــذا فـــضلاً عـــن دعمـــه لعمليات رعاية الأمومة والطفولة، ودعمه لأمور التغذية ومراقبتها، والعمل على نشر الوعي الصحي للوقاية من الأمراض.

ولا شك أن الصحة العامة للمجتمع تسهم إسهاماً كبيراً في رفع مستوى التقدم، وكما يقال" العقل السليم في الجسم السليم".

ولـــذا كـــان الوقف على مر العصور الإسلامية- في الغالب - يؤدي خدمات عظيمة ومفيدة للمجتمعات.

"ولم يكـــن اهـــتمام الوقف في مجال الصحة والعلاج، قاصراً على الإنسان فحسب بل تجـــاوز الإنسان إلى الحيوان، فالحيوان من مخلوقات الله ويؤدي الدور المناط به ويساعد الإنسان بـــل يقدم له الخدمات، وله منافع كثيرة؛ ففي مستشفيـــات الجيش المنتقلة التي كانـــت تعالج الجيش الإسلامي، وجـــدت بجانبهـــــا وحدات لمعالجة الحيوانات بأقسام متخصصة وملحقة بها ومزودة بالأطباء البياطرة" [1] .

"وكانـــت هـــذه المستشفيات التي تعنى بمعالجة الحيوانات منتشرة في المجتمعات وكان المحسنون والورعون من المسلمين يوقفون عليها قربة لله تعالى"[2] .

---

(١) انظـر: الدور الاجتماعي للوقف د. عبد الملك أحمد السيد ص ٢٨٧ — الوقف والتنمية الاقتصادية د. عبد الله بن سليمان الباحوث ص ١٥٨.

(٢) انظر: الدور الاجتماعي للوقف —ص ٢٨٠ .